عصـور - تصنيف ج- المجلد 22 / العدد03 - ديسمبر 2023
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

معرف الكائن الرقمي للمقال:10.54239/2319-022-003-002 (DOI)

الكتابات أثناء الفترة القديمة بشمال إفريقيا
Writings during the ancient period in North Africa

ط.د. بوعلام صلاحي *
مخبر البحث الأثري وتثمينه جامعة تلمسان / الجزائر
boualem.slahi@univ-tlemcen.dz
د. فريدة منصوري
معهد الآثار بجامعة الجزائر02 / الجزائر
farida.mansouri@univ-alger2.dz

تاريخ الإرسال: 2023/07/26 تاريخ المراجعة: 2023/08/15 تاريخ القبول:2023/11/22

الملخص:

الكتابة هي وليدة الفكر الإنساني، وتعتبر أداة للتواصل بين الأفراد والشعوب، كما أنها أداة لتجسيد اللغة والتعبير، وعرف منذ القدم تعدد الكتابات نتيجة لتعدد الألسن، الذي تجسد حسب الباحثين في ظهور الأبجدية، حوالي 3200 سنة قبل الميلاد، التي كانت تدون بها الأفكار والمعارف على مختلف المواد، ما نتج عنه النقائش والكتابات الأثرية، التي وصلت إلينا اليوم كتراث مادي لمختلف الشعوب.

لعبت الكتابات دورا كبيرا في بناء الحضارة وتطورها، كما ارتبط تطور الكتابة ونموها، بالتطور الفكري والحضاري للإنسان ارتباطا وثيقا، فقد عرفت الفترة القديمة تطورا ملحوظا في الكتابة، مما أدى إلى اندثار العديد من الكتابات واللغات، وظهور كتابات ولغات جديدة

* ط.د. بوعلام صلاحي، جامعة تلمسان

وتحيين أخرى، وهذا يعد أثر حتمي للتطور الحضاري للإنسان وحركة التوسع والإستيطان، التي عرفت أوجها خلال هذه الفترة التاريخية.

تجدر الإشارة إلى أن الفترة القديمة، قد خلفت رصيدا حضاريا هاما، خاصة منطقة شمال إفريقيا، التي عرفت بتعدد الكتابات واللغات أثناء الفترة القديمة، وظهرت بها عدة لغات في هذه الفترة، منها المحلية والدخيلة، وساهمت في بناء العديد من الحضارات القديمة والحديثة.

إن الرصيد الحضاري الذي خلفته الحضارات القديمة، خاصة الكتابات الأثرية، يثير عدة تساؤلات حول الأصل وتاريخها، ويعد مجال خصبا للبحث العلمي في مختلف المجالات، ولعب البحث الأثري دورا هاما في الكشف عن عدة خبايا، تتعلق بهذه الكتابات الأثرية، ساهمت في التعرف على الإنسان وحضارته ومحيطه؛ حيث يعتمد اليوم الباحثين وخاصة الباحثين الأثريين على هذه الكتابات القديمة، لما لها من أهمية في البحث العلمي، للتعرف على الحضارات الإنسانية في العالم القديم، وكانت هذه الكتابات، سببا في ظهور عدة تخصصات علمية، كما ساعدت على تحليل عدة ظواهر شهدها العالم القديم.

الكلمات المفتاحية: الأبجدية؛ الكتابة؛ التدوين؛ اللغات؛ الخط؛ شمال إفريقيا؛ الناقشات؛ أداة للتواصل؛ الحضارة.

Abstract:

Writing, as a product of human thought, serves as a fundamental tool for communication among individuals and societies. It plays a vital role in embodying language and expression. Throughout history, the diversity of languages has led to the emergence of various forms of writing. Notably, around 3200 BCE, the advent of the alphabet enabled the recording of ideas and knowledge on diverse materials, giving rise to invaluable inscriptions and ancient writings that continue to be preserved as tangible heritage for different cultures.

The significance of writing extends beyond mere communication. It has been instrumental in the construction and evolution of civilizations. The developmental trajectory of writing closely aligns with the intellectual and cultural progress of humanity. In ancient times, writing underwent notable transformations, leading to the decline of certain scripts and languages while simultaneously giving rise to new ones. These shifts were inexorably linked to the advancement of human civilization, expansion, and settlement during that historical period.

One region where the impact of writing and language diversity is particularly evident is North Africa. During ancient times, North Africa was characterized by a rich tapestry of writings and languages, contributing significantly to the formation of numerous ancient and modern civilizations.

The cultural legacy left behind by ancient civilizations, particularly their writings, continues to be a fertile ground for scholarly exploration across diverse fields. Archaeological research has played a pivotal role in unveiling hidden facets of these ancient writings, offering valuable insights into the lives of our ancestors and their surroundings.

Contemporary researchers, particularly archaeologists, heavily rely on these ancient writings for their intrinsic value in advancing scientific knowledge. By studying these ancient scripts, scholars gain profound insights into the ancient world's civilizations. Additionally, the study of these writings has spawned multiple academic disciplines and has facilitated the analysis of various phenomena that characterized the ancient world.

Keywords: Alphabet; Writing; Blogging; Languages; font; North Africa; Inscriptions; Communication Tool; Civilization.

- مقدمة:

عرفت منطقة شمال إفريقيا تعاقب العديد من الحضارات، سواء المحلية أو الأجنبية في إطار الحركة التوسعية للإمبراطوريات والممالك في الفترة القديمة، وهذه الحضارات تحتاج دائما أداة للتواصل، وكان على أداة التواصل مسايرة التطورات الحضارية، والتعبير عن ثقافتها، بالإضافة إلى تدوين معارفها وأفكارها، فاخترع الإنسان الكتابة لهذا الغرض، وقد وصلتنا العديد من الكتابات القديمة، المدونة على مختلف المواد، بمختلف الأدوات.

يرجع الباحثين ظهور الكتابة إلى العصور الغابرة، ولم يحددوا تاريخا معينا، إلا أنهم اتفقوا على أنها أداة للتواصل بين الأفراد، ومختلف الشعوب الحضارات وتدوين معارفها، واختلفوا حول تاريخ ظهورها، رغم اتفاق أغلبهم على نهاية الألف الرابع قبل الميلاد، الذي يرجعونه إلى حوالي 3200 سنة قبل الميلاد، وجاء في كتاب الكتابة للباحث

يوهانس فريدريش، المتخصص في اللغات، أنها تعود لحضارة بلاد الرافدين نهاية القرن الرابع قبل الميلاد وبداية القرن الثالث، حدد مرحلة النشأة بسنة 300 ق م (يوهانس فريدريش، ترجمة سليمان أحمد الضاهر، 2013، ص 69 - 71).

عندما نتكلم عن الكتابات القديمة، فإننا بالضرورة نتحدث عن العهد الثاني للبشرية، أي بعد حادثة الطوفان، الذي حدث في عهد سيدنا نوح عليه السلام، وهذا ما تؤكده كافة الشواهد المادية، ابتداء من الألواح الطينية، المكتوبة بالمسمارية، التي خلفتها الحضارة البابلية، وإن كان من الثابت أن ظهور الكتابة يعود للعهد الأول للبشرية.

ارتبط تطور الكتابة بتطور اللغة ارتباطا وثيقا، فقد عرفت الفترة القديمة تطورا ملحوظا في استعمال الكتابة وإرساء قواعدها، خاصة في منطقة شمال إفريقيا، التي عرفت بتعدد الكتابات، نتيجة لتعاقب الحضارات، التي وصلت إلينا اليوم مخلفاتها كتراث مادي.

الهدف من دراسة موضوع الكتابة، هو التعرف على التنوع الثقافي واللغوي للمنطقة، وما تعلق بأصل وتاريخ كل كتابة، ورغبة منا في إثراء وتثمين البحث العلمي من خلال هذا البحث المتواضع.

حيث بالرجوع لموضوع الكتابة القديمة، ولمنطقة شمال إفريقيا كمجال جغرافي ومجال زمني في الفترة القديمة، يمتد من مصر إلى المحيط الأطلسي، نجد أن هذا المجال الجغرافي واسع، وعرف تنوع بشري وتنوع حضاري، مما يجعل هذا الموضوع، يطرح عدة إشكالية علمية وثقافية من حيث التنوع والأصل والتاريخ، ويجعلنا نتساءل حول هذه الكتابات، فما هي الكتابات التي كانت متداولة بشمال إفريقيا في الفترة القديمة للتواصل والتدوين، وما هو مصيرها؟

للإجابة على الإشكالية وللإحاطة بجميع جوانب البحث قدر المستطاع، نظرا لأهمية هذا الموضوع والإشكاليات التي يثيرها، والتي تتعلق في غالب الأحيان بمسألة الهوية والأصل، تناولنا الموضوع في قالب علمي أكاديمي، بالاعتماد على المنهج التاريخي، بمعالجة الموضوع من خلال ثلاثة محاور، كما يلي:

1- مفهوم الكتابات القديمة

قبل التطرق للموضوع تجدر الإشارة إلى أن اللغة والكتابات، هما وجهين لعملة واحدة، لكونهما متلازمتين، فلا يمكن فصل واحدة عن الأخرى، فاللغة هي الصوت والقواعد، والكتابة أداة لتجسيد الصوت بالخط وفقا لقواعد خاصة، بالعلامات والرموز، وهذا ما ذهب إليه الجاحظ: وجميع العلوم إنما تعرف بالدلالة عليها بالإشارة أو اللفظ أو الخط، فالإشارة تتوقف على المشاهدة واللفظ يتوقف على حضور المخاطب وسماعه، أما الخط فإنه لا يتوقف على شيء، فهو أعمها نفعا وأشرفها (علي إبراهيم محمد، 2018 ص09)، لذا وجب علينا التعريف باللغة والكتابة، قبل التطرق للكتابات القديمة، ونتناول ذلك فيما يلي:

1-1- تعريف اللغة

اللغة هي القدرة على اكتساب واستخدام نظام للتواصل، أي أنها نسق من الإشارات والرموز، التي تشكل أداة من أدوات المعرفة، والتعبير عن الفكر، أي أنها وسيلة للإتصال المباشر بين البشر عن طريق الألفاظ والرموز الوضعية والعرفية، التي تدل على المعاني (أحمد زكي بدوي وصديقة يوسف محمود، 0000، ص 666)، بمعنى أنها عبارة عن رموز صوتيّة لها نظم متوافقة في التراكيب، والألفاظ، والأصوات، وتُستخدم من أجل الاتصال، وبالتالي هي نسق من الرموز والإشارات، التي يستخدمها الإنسان للتواصل والتعبير واكتساب المعرفة.

كما أن هناك من الباحثين من يعتبر اللغة واللغة وسيلة التعامل ونقل الفكر بين المؤثر والمتلقي. وصدور هذه الرموز الصوتية اللغوية لأداء معان محددة متميزة يعنيها المتحدث ويفهمها المتلقي -معناه اتفاق الطرفين على استخدام هذه الرموز للتعبير عن الدلالات المقصودة (محمود فهمي حجازي، 1973، ص 10).

2-1- تعريف الكتابة

ورد في القاموس العربي أن الكتابة هي مصدر من الفعل كتب، وهي تصوير الأفكار والألفاظ بحروف الهيجاء (أحمد زكي بدوي وصديقة يوسف محمود، 0000، ص 644)، بمعنى أن الكتابة هي وسيلة للتواصل من خلال تجسيد اللغة بالخط، بواسطة

علامات ورموز، تسمى بالأبجدية، التي تمثل كل علامة ورمزا منها صوتًا لغويًا، التي تخضع لقواعد وأنظمة الكتابة الخاصة بها.

وعرف الكتابة مؤسس علم الاجتماع ابن خلدون، بأنها رسوم وأشكال حرفية، تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس، وهو تعريف بسيط، يتفق مع قريب من تعريف اللغوي أبو البقاء، الذي يعرفها بأنها مجمع الحروف المنظومة وَتأليفها بالقلم (علي إبراهيم محمد، 2018، ص 06).

تجدر الإشارة إلى أن الكتابة القديمة مرت بمرحلتين، وهما: المرحلة التصويرية، سميت بها الكتابات الأولى كالكتابة المسمارية في بلاد الرافدين، والكتابة الهيروغليفية عند المصريين القدامى، والمرحلة الأبجدية، إذ أصبح لكل لغة أبجديتها الخاصة، التي تكتب بواسطة حروف ساكنة ومتحركة، وحسب الباحث في اللغات يوهانس فريدريش (Johannes Friedrich)، فإن الكتابة عرفت أربعة أنظمة كتابية (يوهانس فريدريش، ترجمة سليمان أحمد الضاهر، 2013، ص 10)، وهي:

الكتابة الإيديوغر افيا: وتعني الكتابة بالفكرة، أي أن الرمز الواحد يدل على عبارة أو جملة معينة.

الكتابة اللوغوغر افيا: وهي الكتابة الصورية، يدل الرمز الواحد فيها على كلمة واحدة.

الكتابة المقطعية: تتركب فيها الكلمة من عدة مقاطع.

الكتابة الأبجدية: يكون فيها لكل رمز صوت خاص، وفيها يدون الساكن والمتحرك.

2- أهم الكتابات بشمال إفريقيا أثناء الفترة القديمة

تنوعت الكتابات بمنطقة شمال إفريقيا أثناء الفترة القديمة، نتيجة التنوع الحضاري الذي عرفته المنطقة، مما خلف رصيدا ثقافيا غني، وهناك العديد من الشواهد المختلفة، التي وصلتنا منها ما هو في حالة حفظ جيدة ومنها ما هو في حالة حفظ سيئة، وقد تمكن الباحثين بمختلف أطيافهم من حل لغز بعض الكتابات، دون البعض الآخر، ويمكننا إجمال هذه الكتابات فيما يلي:

2-1- الكتابات المحلية

EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

تعد هذه الكتابات وليدة البيئة المحلية، ولها ارتباط بالسكان المحليين، حتى وإن كانت بادية عليها بصمة التأثر بالحضارات التي عاصرتها، فهي أصلية المنشأ، حتى وإن كان بعض الباحثين اختلفوا حول أصولها، ونتناولها فيما يلي:

الكتابة الهيروغريفية: تعد الهيروغليفية من أقدم الكتابات المكتشفة، إذ تعود لحوالي أكثر من 4000 قبل الميلاد، وهي نظام للكتابة، وليست لغة بالمعنى الحالي للغة، استخدمه المصريين القدامى، لتسجيل اللغة والقيام بعمليات الحساب، وتعد نمط كتابة رسمي، لتسجيل مختلف الأحداث على المعالم والنصوص الدينية على جدران المقابر والمعابد، بالإضافة إلى الألواح الحجرية المنقوشة وأسطح التماثيل والألواح الخشبية الملونة.

يعود أصل كلمة الهيروغليفية إلى الكلمة اليونانية المركبة (هيروغليفي) Hieros Glophos، التي تعني الكتابة المقدسة، المكونة من كلمة Hieros التي تعني كتابة، وكلمة Glophos التي تعني مقدسة، وتتكون الأبجدية الهيروغليفية من 24 حرفا، وهي كتابة مقطعية (يوهانس فريدريش، ترجمة سليمان أحمد الضاهر، 2013، ص 19 و57)، ونظرًا لصعوبتها وأهميتها اقتصرت معرفتها وكتابتها على الكهنة والكُتّاب.

الكتابة الهيروغليفية عبارة عن كتابة تصويرية، فالأبجدية في الهيرغليفية، تنقسم لثلاثة مجموعات، فالمجموعة الأولى تضم الرموز الأحادية، أي الحروف أحادية الصوت، أما المجموعة الثانية تضم الرموز الثنائية الصوت، وهي رمز أو نقش واحد ولكن ينطق بحرفين معاً، وتضم المجموعة الثالثة الرموز ثلاثية الصوت، وهي نقش أو رمز واحد ولكن يعني ثلاثة أصوات، وأقدم ما وصلنا مكتوبا بالهيروغليفية مخطوط 3500 قبل الميلاد، واستخدم في ذلك المخطوط صور ترمز إلى أصوات أولية للكلمات.

انشغل العديد من الباحثين بمسألة حل رموزها في العصر الحديث، وخاصة المختصين في اللغات القديمة واللسانيات، بعد الحملة الفرنسية على مصر، التي قادها نابليون بونابرت (Napoléon B.)، التي كان من اهم إنجازاتها بالنسبة للأثريين وعلماء اللغة واللسانيات، اكتشاف حجر الرشيد من قبل أحد الضابط الفرنسي،

عصور - تصنيف ج- المجلد 22 / العدد03 - ديسمبر 2023
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

وأثبت الباحث الفرنسي جون فرانسوا شامبليون (.Champollion J-F)، أن الرموز المستعملة في هذا الحجر، بمثابة حروف هجائية في عصر لم تكن تعرف فيه الحروف (علي إبراهيم محمد، 2018، ص 14).

يعد العالم العباسي أيوب بن سلمة، أول باحث حاول دراسة الكتابة الهيروغليفية، خلال زيارته لمصر سنة 816 م، ثم العالم العراقي ابن وحشية في القرن 10 م، الذي اكتشف أن الرموز هي عبارة عن رموز صوتية، أي حرف في كتابه شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام، الذي درس فيه عدة لغات وكتابات قديمة، منها الكتابة الهيروغليفية، وهذا ما ورد في مقدمة المعتني بالكتاب إياد خالد الطباع، الذي جمع فيه مخطوط بن وحشي النبطي (أبي بكر أحمد بن علي بن وحشية النبطي، 0000، ص 130 و166-177)، وتوجد إحدى نسخ مؤلفات بمكتبة الفاتيكان، التي ترجمها المستشرق النمساوي جوزيف فول هامر (.von Hammer-Purgstall J) سنة 1806 إلى اللغة الإنجليزية.

كما قام العالم المستشرق الفرنسي دى ساسى (De Sacy) الذي كان يجيد العربية، بدراسة الكتابة الهيروغليفية، بمحاولاته على الخط الديموطيقي، الذي ظن أن له علاقة بخط الرقعة العربي لتشابههما ظاهرياً في الانسياب، إلا أن أبحاثه لم تسفر، إلا عن نتيجة واحدة، أن أسماء الملوك توضع في خرطوش، وهو نفس النتيجة التي توصل إليها العالم شامبليون (Champollion J-F)، الذي سعى لفك رموز حجر الرشيد سنة 1822، ويتواجد هذا الحجر حاليا في المتحف البريطاني.

كتبت اللغة المصرية القديمة في خطها الهيروغليفي أفقيًّا ورأسيًّا من اليمين إلى اليسار فيما عدا الحالات التي تحتم تغيير اتجاه الكتابة لتتلاءم مع اتجاه منظر معين أو نص معين على عنصر معماري ذي طبيعة خاصة، ويمكن تحديد ومعرفة اتجاه الكتابة من اتجاه أوجه صور العلامات.

تجدر الإشارة أن معظم النصوص المصرية الهيروغليفية مكتوبة من اليمين لليسار، ونادرا ما تكون النصوص مكتوبة من اليسار لليمين، ونتج عن تطور الكتابة الهيروغليفية في القرن الرابع قبل الميلاد، الكتابة الهيراطيقية والكتابة الديموطيقية

(يوهانس فريدريش، ترجمة سليمان أحمد الضاهر، 2013، ص 58)، تقدر بحوالي 4% من مجموع النصوص التي عثر عليها، وعلى المعابد والمسلات، نجد أنها تكتب من أعلى إلى أسفل.

الكتابة الليبية: تعد من أقدم الكتابات، التي عرفت أثناء الفترة القديمة، وهي من اللغات الحامية السامية، وعرفت عدة أبجديات، ما صعب تحديد عمرها، وتجدر الإشارة أن الكتابة الليبية تتكون من 23 حرف (غابرييل كامب، ترجمة عبد الرحيم حزل، 2014، ص 321-323)، والكتابة الليبية تكتب في اتجاهات مختلفة، وأصلها محلي، رغم اشتراكها مع بعض الأبجديات في بعض التفاصيل، وهنا وقع صراع بين الذات عند الباحث الواحد (محمد الهادي حارش، 1992، ص 134-144).

هناك اختلاف حول أصلها فهناك من الباحثين من يرها سامية الأصل، والأكيد أنها لغة محلي وحروفها تميزها أن الأبجدية الفينيقية، وهي تكتب أفقيا من اليمين إلى اليسار وعموديا من أعلى إلى أسفل، وهو الأمر الشائع (غابريال كامبس، ترجمة العربي عقون، 2012، ص 330-334).

يعود الفضل الكبير في دراستها والكشف عن خباياها للباحث شابو (Chabot.B.-J)، صاحب كتاب مجمع الكتابات الليبية، المنشور سنة 1940، فقد قام من خلاله بدراسة الكتابة الليبية، بالاستعانة والاعتماد على الكتابة البونية والتيفيناغ واللاتيني، وأرفق ضمن كتابه المعلومات الأساسية المتعلقة بالناقشات المدروسة، والقواعد المعتمدة في الدراسة، فكل دراسة في ميدان الكتابات الليبية تعتمد على هذا المصدر.

تتمة لأعمال التي قام الباحث شابو (Chabot.B.-J)، قام الباحث فيفري (Fevrier. G.J) المختص في مجال الكتابات بعدة دراسات للكتابة الليبية، منها نشره لمقال حول الكتابة الليبية، ثم قام بنشر أبحاثه سنة 1959 والمتعلقة بتاريخ الكتابة وخصص فصلا كاملا من كتابه للكتابة الليبية.

كما نجد الباحث سالم شاكر، الذي بحث في موضوع اللغة الليبية، وقام بنشر مقال بالغة الفرنسية، تحت عنوان معطيات عن اللغة البربرية من خلال النصوص

القديمة، الذي اعتبر من خلاله أن اللغة الأمازيغية ليس لها تقليد كتابي مستمر، وشهادات مباشرة عن تاريخ اللغة والأشكال القديمة، نادرة الاستخدام المنهجي للوثائق الخارجية (اليونانية اللاتينية، العربية) يظهر كواحد من الوسائل النادرة المتاحة لنا، لإعادة تشكيل الاختلاف الأمازيغي، وتحدث عن المجال الجغرافي لتداول الليبية (Salem Chaker, 1981. pp. 31-46).

كما تكلم الباحث القدير عن مختلف الهجرات إلى شمال إفريقيا وأصول البربر، كما تحدث عن اكتشاف نقوش بالخط الليبي في مرتفعات سيناء وضفاف دلتا النيل، وتناول أراء مختلف الباحثين، التي تشير إلى أصول سكان شمال اغريقيا (محمد البشير شنيتي، 2003، ص 135-138)، ويؤكد الباحث غبريال كامبس (Camps G.)، تواجد أدلة مادية عن الكتابة الليبية تعود إلى حوالي القرن 06 ق.م، تمثلت في إناء عليه كتابة بالليبية، تم العثور عليه في مقبرة بمدينة رشقون (غابرييل كامب، ترجمة عبد الرحيم حزل، 2014، ص 324).

كتابة التيفيناغ: هي الكتابة التي تفرعت من الكتابة الليبية القديمة وقامت على أقاضها، وان وجد اختلاف في النطق في بعض الحروف بين اللغتين (محمد الهادي حارش، 1992، ص 134)، يستخدمها الأمازيغ بمختلف طوائفهم، وهي من أقدم الأبجديات التي عرفتها الحضارة الإنسانية، وتعرف كذلك بالكتابة البربرية، ومن أهم الباحثين في هذا المجال الباحث **باست** (Basset A.)، الذي تحدث بإسهاب حول البربرية في كتاب تحت عنوان اللغة البربرية، افريقيا وآسيا، الذي تم نشره سنة 1956، ويبقى تاريخ ظهورها غير معلوم بالتدقيق، وهناك من الباحثين من يزعم، بوجود تقارب بينها وبين المصرية القديمة واللغات السامية والكوشية (غابرييل كامب، ترجمة عبد الرحيم حزل، 2014، ص 89-92)، بأن التيفيناغ منحدرة من الأبجدية الفينيقية، ويرجع عمرها كذلك إلى حوالي ثلاثة آلاف سنة قبل ميلاد.

إلا أن الثابت وفق للمعطيات الأثرية، أن التيفيناغ لغة محلية للبربر بمختلف أطيافهم، يسبق وجودها بقرون عن الأبجدية الفينيقية، وهناك من الباحثين من يرى

بأن التيفيناغ تضرب في القدم وتبدو في زمن واحد مع الليبية الشمالية، دون تقديم أي دليل أو تفصيل (غابرييل كامب، ترجمة عبد الرحيم حزل، 2014، ص 324).

تتكون أبجدية التيفيناغ من 33 حرف، وظلت تستخدم منذ نشأتها حتى يومنا هذا من قبل الطوارق، وأما اتجاه الكتابة الغالب هو من اليمين إلى اليسار، إلا أنه بعد فك طريق الكتابة من خلال العديد من النصوص، عثر أن العديد من الكتابات، كانت كتابتها في اتجاهات مختلفة.

أجمع المستشرقون على هجرة حرف التيفيناغ من الجزيرة العربية إلى شمال إفريقيا، وعلى رأسهم الباحث أوريك باتس (ORIC B.)، وأنها تنحدر من اليمن، التي عرفت هجرة العديد من القبائل إلى شمال إفريقيا، وأن الكتابة البربرية المعروفة باسم التيفيناغ أصولها يمنية، تنحدر من الأبجدية الفينيقية، واحتفظت بكثير من أصولها وقواعدها وجذوره كلماتها اليمنية العربية القديمة، وتوجد أكثر من 100 كلمة احتفظت بمعناها العربي (محمد حسين الفرح، 2010، ص 89 -94).

2-2- الكتابات الأجنبية

وهي الكتابات التي وفدت إلى شمال إفريقيا أثناء الفترة القديمة في إطار الحمالات التوسعية للحضارات القديمة والفتوحات الإسلامية، أي لم تكن وليدة الحضارات المحلية، فقد كان المنتصر في الحرب يفرض ثقافته على المنهزم، نتطرق لها فيما يلي:

-الكتابة العبرية: تعود أصول الكتابة العبرية إلى الأبجدية الفينيقية القديمة، وتعرف كذلك بالكتابة الآرامية القديمة أو الخطّ المربّع، وهي من اللغات السامية، التي ظهرت حوالي 1200 قبل الميلاد، بعد أن قام اليهود بتحوير الأبجدية الفينيقية القديمة واستعمالها في لغتهم العبرانية، تتكون الكتابة العبرية من 22 حرفًا (أبي بكر أحمد بن علي بن وحشية النبطي، 0000، ص 136)، كلها حروف ساكنة، وتكتب العبرية من اليمين إلى اليسار، وهي تختلف كل الاختلاف عن الكتابة العبرية الحالية.

أقدم ناقشة بالكتابة العبرية القديمة، يرجع تاريخها إلى القرن العاشر قبل الميلاد، وتعرف باسم تقويم جيزر، والكتابة العبرية المربعة ليست لها علاقة بالكتابة العبرية القديمة (يوهانس فريدريش، ترجمة سليمان أحمد الضاهر، 2013، ص 125

EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

و126)، الثابت تاريخيا أن تواجد اليهود بشمال إفريقيا، يعود للقرن 14 ق م (مصطفى كمال عبد العليم، سيد فرج راشد، 1995 ص 55).

تزامن تواجد الكتابة العبرية بشمال إفريقيا مع إنشاء المستعمرات الفينيقية بالمنطقة، وسقوط مملكتهم سنة 710 ق م على يد الآشوريين، إذ تم العثور على عدة كتابات بالعبرية، ولم يتم تحديد الفترة التي تعود لها، وانتشر اليهود بقوة في شمال افريقيا بسقوط مصر في يد البطالمة، خاصة بعد سنة 322 ق م وقد عثر على نقوش مزدوجة بالعبرية والإغريقية (مصطفى كمال عبد العليم، 1966 ص 171-182).

-الكتابة الإغريقية: اشتقت حروف الأبجدية الإغريقية من الأبجدية الفينيقية القديمة، فهي فرع الكتابات سامية الصامتة (يوهانس فريدريش، ترجمة سليمان أحمد الضاهر، 2013، ص 155 و157)، فقد احتفظت بملامح ا لكتابة الفينيقية، وهي تتكون 24 حرف (أبي بكر أحمد بن علي بن وحشية النبطي، 0000، ص 138)، تستخدم في كتابة اللغة اليونانية، منذ القرن 08 ق.م، وقد كان لها تأثير كبير على الكتابة واللغة القبطية بمصر القديمة، وعثر على كتابات إغريقية بشمال إفريقيا بليبيا بضواحي مدينة برقة (مصطفى كمال عبد العليم، 1966 ص 181).

يعود التواجد الإغريقي بشمال إفريقيا إلى سنة 631 ق م، وذلك على السواحل الليبية الشرقية، وأشهر مستعمراتها مستعمرة قورينا أو ما يعرف حاليا بمدينة برقة، ثم انتقل إلى مصر الفرعونية عام 323 ق.م في عهد البطالمة، فقد سقطت مصر تحت حكم بطليموس الأول، الذي أسس فيها مملكة البطالمة حوالي سنة 322 ق.م، وانتهى التواجد الإغريقي بشمال إفريقيا حوالي 96 ق م، بسقوط قورينا في يد الرومان، بناء على وصية الملك أبيون (مصطفى كمال عبد العليم، 1966 ص 121-124).

-الكتابة اللاتينية: أصلها إيطاليقي، ظهرت في إقليم لاتيوم حول نهر التيبر، بالجزء الأوسط من شبه الجزيرة الإيطالية في روما القديمة، وكانت في بدايتها تكتب من اليمين إلى اليسار، ثم تحولت من اليسار إلى اليمين، وكتبت بعدة خطوط (يوهانس فريدريش، ترجمة سليمان أحمد الضاهر، 2013، ص 169-172)، ثم انتشرت عبر مختلف أقطار العالم القديم، نتيجة التوسع الروماني وانتشار الثقافة الرومانية.

EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

اشتُقت اللاتينية من الخطوط اليونانية والفينيقية، التي اشتقت منها الكتابة الأتروسكية، وهي شكل من أشكال الكتابة الأتروسكية، وهي تندرج ضمن اللغات الهندو أوروبية، وتتكون الأبجدية اللاتينية من 23 حرف، عرفت أوجها في القرن 01 ق م، نتيجة توسع الرقعة الجغرافيا للإمبراطورية الرومانية، ويعود تواجدها بشمال افريقيا إلى نهاية القرن 02 ق م، بسقوط قرطاجة سنة 146 ق م على يد الرومان.

الكتابة العربية: ترجع جذور الكتابة العربية إلى عائلة اللغات السَّامية منحدرة من الآرمية، واختلف الباحثين حول أصلها، نتيجة لأن الأبجدية العربية مرت بفترات نمو منذ بداية نشأتها، فكان الاختلاف إن كانت منزلة أم حيرية أو حمارية أو نبطية (علي إبراهيم محمد، 2018، ص 31-42)، وتتكون من 29 حرفا حسب العالم الخليل بن أحمد، منها الصامت والمتحرك (علي إبراهيم محمد، 2018، ص 49) مؤلف المعجم العربي، والكتابة العربية تكون من اليمين إلى اليسار.

تعود علامات اللغة العربية بدأت بالظهور في حوالي عام 2000 قبل الميلاد، وبالرغم من ذلك، لم تظهر الكتابة العربية بالشكل الحالي، حتى القرن 05 الميلادي، بالرغم من أول كتابة عثر عليها بشمال إفريقيا، كانت بسيناء بجمهورية مصر، مؤرخة ما بين 210 م و253 م، بخط يشبه نوعا ما الكتابة الفينيقة، وأصبحت الكتابة العربية شائعة ومنتشرة الاستخدام، بعد ظهور الإسلام، نتيجة للفتوحات الإسلامية، وأطلق عليها الباحث النمساوي شلوزر (August Ludwig Schlözer) مصطلح اللغة السامية سنة 1781م، الذي اقتبسه من نصوص التوراة في العهد القديم.

حيث عرفت انتشارا واسعا في شمال إفريقيا، نتيجة الفتوحات الإسلامية في 07 الميلادي، ابتداء من مصر حتى المحيط الهادي، وخلفت هذه الفترة العديد من الناقشات أثناء الفترة القديمة بالمنطقة، عثر عليها الباحثين الأثريين.

3-2- الكتابات المختلطة: اصطلحنا عليها هذا الإسم لكونها كتابات محلية النشأة، وتكتب بحروف أغلبها أجنبية وحروف خاصة بها، ذات أصل محلي، فهي تجمع أكثر من أبجدية واحدة في الكتابة، واختلف الباحثين في مجال علوم اللغة والكتابة حول أصلها، ويمكننا إجمالها فيما يلي:

-الكتابة القبطية: تعود للحضارة المصرية القديمة، والثابت أنها كتبت بالخط الديموطيقي، وهو طريقة من طرق كتابة لغة مصر القديمة، وهو تطور طبيعي لما ظهر قبل منتصف القرن 08 ق.م، واستمرت هذه الطريقة جنبا إلى جنب مع الكتابة الهيروغليفية، وكلمة قبطية من أصل يوناني، تطلق على المصريين، وتعود لفترة البطالمة، وتتكون الأبجدية القبطية من 32 حرفاً، 24 حرفاً من أصل يوناني و7 أحرف من أصل محلي ديموطيقي وحرف مضاف، وهي صناعة يونانية للتواصل مع المصريين (جمال الدين شرقاوي، 2009، ص 29-33)، وتكتب الأبجدية القبطية من اليسار إلى اليمين (مجدي عباد يوسف، 1998، ص 34).

إن هذا الطرح حول الكتابة واللغة القبطية، ينفي فكرة أن القبطية، هي نتاج لتطور الهيروغليفية، خاصة إذا اعتبرنا أنها تعود لفترة الاحتلال الإغريقي لمصر في الفترة القديمة، باعتبارها لغة للتواصل بين المصريين واليونانيين، لتكون امتداد للغة مصر القديمة، واقتصر استخدامها على التبشير، ولم تكن يوما نقلا أو نسخا للكتابات الديموطيقية بأبجدية يونانية (جمال الدين شرقاوي، 2009، ص38 و39).

إلا أن أبيه ماريوس شين (Marius Chine A.)، يرى عكس ذلك عندما تحدث في مقال له عن اللغة الشعبية بمصر القديمة، الذي أكد فيه أن الهيروغليفية والقبطية، موجودتين منذ القدم وفي نفس الفترة، كما أكد من خلال دراسته لقواعد اللغتين، أن اللغة الهيروغليفية لم تكن لغة تخاطب وأنها مأخوذة من القبطية، التي تعد الأصل وصيغت ليستخدمها الكهنة والكتبة فقط، دون عامة الشعب، والدليل على ذلك أنه لم يتم العثور على مخطوط أو كتابة شعبية، على العكس من القبطية، التي تكلم بها عامة الشعب المصري منذ فجر التاريخ.

-الكتابة الكوشية: وتعرف أيضا بالنوبية، وهي لغة متداولة في حوض النيل، حتى يومنا هذا، وليست لهجة كما يظنها البعض، وتنسب لكوش بن حام، وهي اللغة الرسمية للملكة الكوشية، تنتمي إلى عائلة اللغات الأفريقية الآسيوية، وتكتب الكوشية بالحروف بالأبجدية اليونانية القديمة وحروف خاصة بها، ويشمل نطاقها الجغرافي جنوب مصر ومناطق شمال وغرب السودان القريبة من مصر وبلدان القرن الإفريقي.

عصور - تصنيف ج- المجلد 22 / العدد03 - ديسمبر 2023
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

يعد الباحث مارل **سميت** (SCHMIDT K.) أول من بحث فيها من خلال مخطوط من الجلد، الذي اشتراه من مصر سنة 1906، أين اكتشف أن اللغة المكتوب بها ليست القبطية، رغم استعمالها لنفس الحروف تقريبا، ويعد الباحث الإنجليزي **جريفيث** (GRIFFITH F. LI.) هو من وضع حجر الأساس لدراسة النوبية القديمة، ثم توالت العديد من الدراسات (مختار خليل كبارة، 1998، ص 15-23).

إن الأبجدية الكوشية القديمة، تتكون من 26 حرف، مقسمة على أربعة مجموعات، تعتمد في الأساس على الأبجدية القبطية، المتكون من اليونانية والقبطية مع حروف نوبية خاصة، أضيفت لتغطية العجز الصوتي للأبجدية القبطية، وكانت الكتابة من اليسار إلى اليمين (مختار خليل كبارة، 1998، ص 26-37).

الكتابة البونية: تعرف بالبونيقية، تندرج ضمن الكتابات السامية، وأصلها كنعاني بالشرق الأوسط، تعود للفنيقيين (محمد البشير شنيتي، 2003، ص 150 و153)، الذين استوطنوا غرب المتوسط، وهو ما أجمع عليه كافة الباحثين، ويدعم هذه الفكرة بالنصبين المتواجدين بمدينة تيديس، اللذين يحملان نص بالكتابة واللغة الفينيقية مضمونه: "إننا أولائك الذين فروا بعيدا من بطش يوشع بن نون" (محمد البشير شنيتي، 2003، ص 151)، والشخصية البونية هي نتاج التزاوج الثقافي والعرقي، بين الفنيقيين والسكان المحليين لشمال إفريقيا، المعروفين بالنوميديين، الذي ولد حضارة جديدة.

أسس البونيون حضاراتهم الخاصة في منطقة شمال إفريقيا، وأشهرها الحضارة القرطاجية، التي امتدت مستعمراتها إلى الضفة الشمالية للمتوسط، أين تم العثور على أثار بونية بكل من صقلية ومالطة وجنوب سردينيا.

ظهرت الكتابة البونية بشمال إفريقيا في الفترة القديمة، حوالي القرن 08 قبل الميلاد، وتعد لهجة متفرعة عن اللغة الفينيقية، وقد طرأ عليها تغييرات خلال القرن الأول من الاستيطان (محمد البشير شنيتي، 2003، ص 157)، وهي تتكون من 22 حرف ساكن، وعرفت الكتابة مرحلتين، مرحلة البونية ومرحلة البونية الجديدة، وهي ما تعرف بمرحلة الضعف.

3- دراسة الكتابات القديمة:

لدراسة الكتابات القديمة، لابد من الاستعانة ببعض التخصصات، حتى يتمكن الباحث من تحليل هذه الكتابات من أجل فك رموزها ومعرفة معناها وأصلها، للوقوف على تطورها وتتبع انتشارها، والكشف عن الأصيل والدخيل وتأريخها، وسوف نتطرق لهذا المحور فيما يلي:

3-1- أهم العلوم التي يعتمد عليها في دراسة الكتابات القديمة

هناك العديد من التخصصات، التي يعتمد عليها في دراسة الكتابات القديمة، ولكل تخصص دور هام في الكشف عن جانب من جوانبها، وسوف نتطرق لأهمها على سبيل المثال، لا الحصر، باعتبارها مفتاح الدراسة فيما يلي:

أ-علم الأنوماستيك: وهو مصطلح من أصل لاتيني Onomastickos وهو علم يختص بدراسة أسماء الإعلام بمختلف فروعها، سواء الأشخاص أو الأماكن أو الأشياء إلى غير ذلك وله عدة فروع، منها الأنثروبونينيا التي تختص بدراسة أسماء الأشخاص، والطبونيميا التي تختص في أسماء الأماكن إلى جانب فرع الزونيميا، المتخصص في أسماء الحيوانات، بالإضافة إلى فروع أخرى.

يلعب علم الأنوماستيك أهمية كبيرة في دراسة الكتابات القديمة، إذ يعد أحد مفاتيح دراستها والكشف عن خباياها، بالتعرف على أسماء الأعلام، التي تتضمنها الكتابة، فبالتعرف على الأسماء التي تتضمنها الكتابة، يمكن التعرف على موضوع الكتابة أو تحليل محتواها أو على الأقل التعرف على طريقة دراستها.

ب-علم اللسانيات: ويعرف بعلم اللغات، وهو علم يدرس التغيرات التي تطرأ على اللغات الإنسانية عبر التاريخ، سواء من حيث خصائصها أو قواعدها، والتأثيرات المتبادلة بين مختلف اللغات، وتطور مفرداتها، أي أنه يدرس اللغة من كل جوانبها دراسة علمية، بمعنى أنه يهتم بالتغييرات الصوتية والنحوية والدلالية للغات، بتحليلها وإعادة تركيبها، لإثبات العلاقات الجينية بين مختلف اللغات الإنسانية وأصولها، وعلم قديم النشأة بالنسبة للعرب الذي عرفوا علم النحو في فترة مبكرة، وحديث النشأة بالنسبة للغرب.

يسعى علم اللسانيات لتفسير تطور اللغة والاستعمالات الخاصة للغة، بدراسة البنية المورفولوجيا والفونولوجي للغة، غير أن ميلاد علم اللسانيات في الغرب كعلم مستقل، صادف الحركة الاستعمارية، وما صاحبها من بحث علمي في ثقافات الشعوب وحضاراتهم، التي جاءت كبديل للحروب المسيحية، ما أعطى أهمية وتصورات جديدة لهذا العلم، لم تكن موجودة في السابق.

إن التغيرات والتطورات المستمرة للغات، حتمية يفرضها التطور الحضاري للإنسان، حتى يتمكن من مسايرة احتياجاته اللغوية، نتيجة المفردات الجديدة، التي تدخل على اللغات بسبب الاكتشافات، فهي إذن ضرورة، تسمح بإيجاد مقاربات لغوية لمسايرة الزمن والتطور الحضاري والتواصل بين مختلف اللغات، لتعلق هذه التطورات بجوهر اللغة وأصلها، فعدم مسايرة اللغة للتطور الحضاري للإنسان واحتياجاته اللغوية، يؤدي لاندثار اللغة.

ج-علم الباليوغرافيا: وعرف بعلم الخطاطة، وهو مصطلح يوناني الأصل، يعني الكتابة القديمة، ويعود للكلمة اليونانية المركبة Paleo Graphie، وهو علم يهتم بدراسة الخطوط القديمة في حد ذاتها، ومحاولة فك رموز وقراءة الكتابات القديمة بمختلف أنواعها، وأول من استعمل هذا المصطلح الراهب والباحث الفرنسي بيرنارد مونت فكون (Montfaucon B.)، المتخصص في الكتابات الشرقية القديمة، مؤلف كتاب علم الخطوط الإغريقية القديمة، وكان ذلك في إحدى رسائله، المؤرخة في 14 ديسمبر 1708.

يساعد هذا العلم كثيرا في التعرف على أنواع الخطوط وتصنيفها، والتي من خلال يمكن دراسة التطور الكتابة أو تحديد المجال الجغرافي للكتابة، مما يساعد على دراستها وتسهيل فك رموزها والتعرف على معانيها، كما يمكن من خلال هذا العلم قراءة النصوص واستخراج المعلومات منها ودراسة العلاقات الموجودة بين مختلف الخطوط والكتابات، للتعرف على أصولها.

د-علم الإبيغرافيا: علم يدرس الكتابات بمختلف أنواعها، المنقوشة أو المكتوبة بالصباغ على الأحجار أو المعادن أو الطين أو الزجاج أو العظام أو الفسيفساء، وتعد أحد المصادر الأساسية في دراسة التاريخ والحضارة (مصطفى أعشي، 2004، ص 07)،

ولدراسات هناك مبادئ وقواعد يجب اتباعها، ومن أهم الكتب التي تساعد على دراسة الكتابات القديمة من خلال النقائش، كتاب الباحث في اللغات والكتابات القديمة **لابي تكسيار** (Labbe T.)، الصادر سنة 1851 تحت عنوان:

Manuel d'épigraphie Suivi du Recueil des inscriptions du Limousin

وهناك من يطلق على هذا العلم مصطلح علم النقائش، لأنه يدرس الكتابات القديمة المتواجدة على مختلف المواد، لتحديد الوحدات الخطية وتحليلها من أجل التعرف على معناها وتصنيفها واستخداماتها، للوصول إلى استنتاجات حول الكتابة وأصولها وتاريخها وتطورها، لمعرفة الأصيل منها والدخيل، وقد ساعد هذا العلم على فك الكثير من رموز الكتابات القديمة، والتعرف على محتواها، كما ساعد على دراسة الكتابات المندثرة.

2-3- تأثير التطور الحضاري على الكتابة القديمة

إن تأثير التطور الحضاري على الكتابات القديمة ترك بصمة واضحة عليها، وهذا ما استشفه الباحثين الذين تخصصوا في دراسة الكتابات القديمة، رغم اختلافات حول بعض التفاصيل، فيما يخص الأصل والتداخل وتاريخ الظهور، وعلى الخصوص الحروف الأبجدية، فقد أدى عامل التطور الأثري إلى اندثار بعض الكتابات القديمة وتحيين أخرى، وسوف نتطرق لذلك فيما يلي:

أ-اندثار الكتابات: لقد شهدت الفترة القديمة تطورا حضاريا في مختلف المجالات، وخاصة مجال اللغة والكتابة، نتيجة لعامل الحركة التوسعية وتزاوج الثقافات، ما أدى إلى ظهور لغات جديدة، تساير التطور الحضاري وتؤكد هيمنة القوي على الضعيف، ما نتج عنه اندثار لغات كانت في يوم من الأيام لغة للتواصل والمعرفة، ونذكر من بين هذه الكتابات التي اندثرت ما يلي:

-الكتابة الهيروغليفية: اندثار الهيروغليفية ككتابة في العصور المتأخرة قبل الميلاد، إلا أن الباحث أنطوان يرى بأنها اندثرت سنة 389 م (جمال الدين شرقاوي، 2009، ص 31)، كما اندثرت معها قراءتها، نتاج الاحتلال الروماني، الذي فرض اللغة اللاتينية، واستخدمت حتى سنة 394 م (مجدي عياد يوسف، 1998، ص 20). ومن أبرز عوامل

EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

اندثار الكتابة الهيروغليفية، هو الاستعمار الإغريقي، الذي استحدث الكتابة القبطية، وفرض ثقافته ولغته على المجتمع المصري.

إلا أن الراجح وفقا للأبحاث والمعطيات الأثرية، التي قام بها علماء الآثار واللغة والأنثروبولوجيا والنقوش، فإن اندثار الكتابة الهيروغليفية، يعود إلى ما قبل ذلك، نتيجة لتطور الكتابة وظهور الأبجديات، ومنها: الخط الهيراطيقية الذي كتب به الكهنة ورجال الدين، والخط الديموطيقي الذي كتب به عامة الشعب المصري.

-الكتابة الليبية: كتابة محلية اندثرت في وقت مبكر من الفترة القديمة، وقامت على إنقاذها التيفيناغ، ولم يستطع الباحثين حتى الآن دراستها وفك ألغازه، رغم المحاولات التي قام بها العديد من الباحثين، وعلى رأسهم الباحث **شابو** (Chabot B. J)، والباحث **فيفري** (Fevrier. G.J.)، المختص في دراسة الكتابات، إلى أن الثابت من قبل الباحثين أن آخر شاهد مادي حديث للكتابة بالليبية، كتابة تخليدية لذكرى ماسينيسا، يعود تاريخها لسنة 138 ق.م، أنجزت في السنة العاشرة من حكم ابنه ميسيبسا، عثر عليها في ضريح ماسينيسا (غابرييل كامب، ترجمة عبد الرحيم حزل، 2014، ص 323).

تجدر الإشارة إلى أن هناك خلط بين الكتابة الليبية وكتابة التيفيناغ، التي امتد استعمالها حتى نهاية القرن الخامس ميلادي وانتهت بالفتوحات الإسلامية، وهذا ما يؤكده الباحث **شابو** (Chabot B. J)، المتخصص في الليبية من خلال كتابه مجمع الكتابات الليبية، الذي دراس في الليبية بالاعتماد على الكتابة البونية والتيفيناغ واللاتيني، والذي يرى أنها اندثرت في زمن مبكر من الفترة القديمة، على عكس الباحث غابريال كامب، الذي يرجع ذلك لسنة 138 ق.م(غابرييل كامب، ترجمة عبد الرحيم حزل، 2014، ص 323).

-الكتابة العبرية: عرفت تداولا واسع النطاق في الأقاليم المصرية، خاصة قبل وأثناء بعثة النبي موسى عليه السلام، وبالجهة الشرقية من ليبيا وشمال تونس، وبدأت تتراجع الكتابة العبرية بسقوط مملكتهم على يد الآشوريين والسبي البابلي لهم، وما وصلنا من ناقشات وكتابات عبرية قليل جدا، لتختفي الكتابات اليهودية بشمال إفريقيا أثناء الفترة الرومانية، نتيجة للقمع خاصة بمصر وليبيا وتونس (مصطفى كمال عبد العليم، سيد

فرج راشد، 1995 ص 248-254)، إذا تكون منعدمة وهذا ما تؤكده مصنفات الكتابات الأثرية المختلفة، وهي قليلة جدا بالجزائر ومن خلال بحثنا لم نعثر على أي دراسة حولها أثناء الفترة القديمة.

-الكتابة الإغريقية: لم تعرف الكتابة الإغريقية رواجا كبيرا في شمال إفريقيا، وبقي انتشارها محدودا ومنحصرا في بعض الأقاليم من مصر وليبيا بالشمال الشرقي لشمال إفريقيا، وخلفت ناقشات قليلة، واندثرت في وقت مبكر من القرن الأول قبل الميلاد، نتيجة لعدة عوامل، ولا يزال تأثيرها ظاهر في الأبجدية القبطية.

-الكتابة البونية: واستمر تداولها إلى غاية القرن 05 ميلادي، خاصة بمنطقة قالمة وقسنطينة ومدينة تيديس، وكانت لغة للعلم، وقاومت الغزو اللاتيني في المدن، وظلت لغة التخاطب ببعض الأرياف القريبة من المدن، حسب القديس أوغسطينوس (محمد البشير شنيتي، 2003، ص 158-160)، الذي يعد من آخر المفكرين، الذين تعاملوا بالبونية، فقد كان يقوم بالاستعانة بالمترجمين للتخاطب مع الناس وإفهامهم، تعاليم الدين المسيحي.

ب-انحصار الكتابات: للزمن والتطور الحضاري، تأثير على الوجود وبصمة على كافة المجالات من بينها الكتابة، فقد انحصر استعمال بعض اللغات والكتابات، كنتيجة حتمية وفقدت قوتها، إلا أنها صمدت وبقيت متداولة، ولم تتمكن الحفاظ على تطورها وانتشارها، بعد أن كانت في يوم من الأيام أداة للتواصل والمعرفة، وتعبر عن الرقي الثقافي لشعوبها ونفوذهم الإقليمي والدولي، ومن بين هذه الكتابات نذكر:

الكتابة القبطية: ساهمت الكنيسة المسيحية، منذ بداية القرن الأول الميلادي في الحفاظ على اللغة والكتابة القبطية وتطويرها، بوضع قواعد اللغة وإدخال مصطلحات جديدة، ولم تكن لغة شعبية وبقية القبطية حبيسة رجال الدين (جمال الدين شرقاوي، 2009، ص 31 و33 و35)، إلا أن شركاء المواطنة يصرون بأنها كانت لغة مصر وتكلمها كافة المصريين (جمال الدين شرقاوي، 2009، ص 34).

تجدر الإشارة إلى أن البحث في اللغة القبطية ودراستها، بين أن التطور الحقيقي للكتابة القبطية، كان بعد ظهور المسيحية في بداية القرن الأول الميلادي، واعتماد المسيحية كدين للدولة، وتعرف بالكتابة القبطية القديمة.

حيث يعود الفضل في الحفاظ على الكتابة القبطية، لرجل الدين **بنتينوس** مدير مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، الذي قام بترجمة قبطية للكتاب المقدس، ووضع قواعد اللغة القبطية، وضبط أبجديتها بالوضع الحالي لها في الفترة الممتدة من سنة 189 م إلى 232 م في عهد البابا ديمتريوس البطريرك الثاني عشر.

كما قام الباب كيرلس الرابع ما بين سنة 1854 و1856 م بإصلاح اللغة القبطية، نتيجة لتداخلها مع اللغة العربية، بعد الفتوحات الإسلامية وظهور حروف جديدة بلسان المصريين، كحرف الضاد والظاء، مما أدى إلى ضرورة التدخل لإصلاح اللغة واختفاء حروف كانت موجودة من قبل مثل: حرف الدلتا.

-الكتابة الكوشية: كانت الكوشية لغة وكتابة مملكة كوش، التي شملت جزء من مصر والسودان الحالي وبعض دول القرن الإفريقي، وصمدت هذه اللغة وبقيت متداولة في حوض النيل على شكل لهجات، وغير معتمدة ككتابة رسمية في أي من الدول المتداولة فيها، ويتكلم بها حاليا ما يفوق 20 مليون شخص، خاصة في السودان ومصر، أثيوبيا وإيريتريا والصومال وأقليات في تانزانيا وكينيا.

-الكتابة اللاتينية: كانت اللاتينية هي اللغة الإمبراطورية الرومانية، والتي كانت تستخدم في القداس الكاثوليكي الروماني وفي الوقت الحاضر لم تعد متداولة بشمال إفريقيا، سوى في المرافق الدينية المسيحية، وتعد اللغة والكتابة الرسمية لدولة الفاتيكان، كما تستعمل في إيطاليا كلغة ثانية، ومنحصر استعمالها في أماكن العبادة، ومتداولة عند القليل من المواطنين، دون الدوائر الرسمية للدولة الإيطالية.

بدراسة الكتابة اللاتينية، اكتُشفت العديد من المؤثرات لمختلف اللهجات، كالسلتية في شمال إيطاليا والأترورية اللاهندية أوروبية في وسط إيطاليا، إضافة إلى اليونانية في جنوب إيطاليا.

EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

جـ-تحيين الكتابات: نتج عن التطور الحضاري، الذي شهدت في مختلف المجالات، تحيين بعض اللغات والكتابات، التي أثبتت قوتها وصمودها في وجه الحركة التوسعية وتزاوج الثقافات، كما تمكنت من مساير التطور الحضاري على حساب بعض الكتابات، التي اندثرت بعد أن كانت في يوم من الأيام أداة للتواصل والمعرفة، وتعبر عن الرقي الثقافي لشعوبها، ومن بين الكتابات التي ما تزال متداولة إلى غاية اليوم، نتناول:

-كتابة التيفيناغ: ظلت تستخدم منذ نشأتها حتى يومنا هذا من قبل الطوارق، تم تحيين التيفيناغ مؤخرا في كل من الجزائر والمغرب، بترسيمها كأبجدية رسمية لكتابة اللغة الأمازيغية، ففي الجزائر أصبحت الأمازيغية المكتوبة بأحرف التيفيناغ لغة رسمية، منذ سنة 2016، وتأسست على إثر ذلك الأكاديمية الجزائرية للغة الأمازيغية سنة 2017، التي أسندت لها مهمة تطوير اللغة وتحيينها.

كما قامت المغرب بإنشاء المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية عام 2001 م، أضيفت حروفا متحركة للتيفيناغ التقليدية، وتم تغيير اتجاه الكتابة ليصبح من اليسار إلى اليمين، سنة 2003 م، وتعد لغة رسمية بالمغرب منذ سنة 2010.

-الكتابة العربية: توجد العديد من النظريات حول هذا، وبعضها يحتوي على تناقضات جوهرية، فأقدم نقش عثر عليه بالعربية، يرجع إلى القرن 03 م، كتب بالخط النبطي، الذي تعود أصوله للآرامية، حسب بعض الباحثين، إلا أن 22 حرف من الأبجدية الآرامية، لا يمكن له التعبير عن 28 صوت من اللغة العربية، لذلك فقد طور العرب ستة أحرف أخرى، حتى يمكن الكتبة العربية مسايرة التطور الحضاري للإنسان.

نتيجة قدرة اللغة العربية وقدرتها على مسايرة التطور الحضاري والتكنولوجي، استطاعت الصمود وفرض وجودها من خلال الكتابة العربية، التي تمكنت من الحفاظ على وجودها، لتمكنها من مسايرة الحضارة الإنسانية، لدقتها في التعبير، وتعد الكتابة الأكثر انتشارا في العالم، إذ يكتب بها على الأقل حوالي مليارين من البشر، وتكتب بها العديد من اللغات منها اللغة الفارسية واللغة الباكستانية.

عصور - تصنيف ج- المجلد 22 / العدد03 - ديسمبر 2023
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

- خاتمة

يعتبر مجال الكتابات القديمة، مجالا هاما من العلم وصعب، لارتباطه بالتطور الفكري والثقافي للإنسان، ولقد وقفنا على هذه الأهمية والصعوبة من خلال هذا البحث، التي ترتبط مجملها بأصل وتاريخ كل كتابة في ظل غياب ما يؤكد أو ينفي بعض المعلومات، وتكمن الصعوبة أيضا في ارتباطه بعلوم جد صعبة وهي علم اللسانيات وعلم الباليوغرافيا وعلم الإبيغرافيا.

إن بحثنا هذا، مكننا من معرفة التأثير الحضاري على التواصل في حياة الإنسان، الذي يرتكز على علم اللسانيات والباليوغرافيا، لما لهما من أهمية في البحث الأثري، خاصة في مجال دراسة الكتابات الأثرية بمختلف أنواعها وتحليلها، وخاصة الرموز.

حيث توصلنا من خلال هذا البحث ومعظم الكتب التي اطلعنا عليها، خاصة المصادر المتخصصة، أن موضوع الكتابة صعب جدا ويحتاج إلى التفاتة من المختصين في علم الكتابات واللغات واللسانيات، لمعالجة مشكلة الأصل والتاريخ لكل كتابة على حدا، بناء على الشواهد المادية، وفقا لمناهج علمية، تتسم بالموضوعية وبالدليل العلمي القاطع.

وختاما نتمنى أن يكون هذا العمل المتواضع والبسيط، قد ساهم ولو بالقليل في التعريف بالكتابة كأداة للتواصل والتدوين، كما نتمنى أن يكون محفزا للبحث في مجال اللسانيات والباليوغرافيا والإبيغرافيا، لما لها من أهمية في تفسير الماضي والتعريف بمختلف الحضارات، ويمكن من خلاله العمل على تصحيح بعض المسلمات، والكشف عن خبايا الحضارات الإنسانية القديمة.

قائمة المصادروالمراجع:

1- أبو بكر أحمد بن علي بن وحشية النبطي، شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام، الموقع الإلكتروني www.noor-book.com.
2- أحمد زكي بدوي وصديقة يوسف محمود، المعجم العربي الميسر عربي عربي، دار الكتاب المصري.

3- جمال الدين شرقاوي، 2009، لغز اللغة القبطية دراسة تأصيلية تاريخية، مكتبة وهبة للطباعة والنشر مصر، الطبعة الأولى.
4- علي إبراهيم محمد، 2018، تاريخ الكتابة العربية، دار المشرق العربي مصر، الطبعة الأولى.
5- غابرييل كامب، 2014، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرف، الطبعة الأولى.
6- غابريال كامبس، 2010، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، ترجمة العربي عقون.
7- مجدي عباد يوسف، 1998، مدخل إلى اللغة القبطية واللغة اليونانية.
8- محمد البشير شنيتي، 2003، أضواء على تاريخ الجزائر القديم (بحوث ودراسات)، دار الحكمة.
9- محمد حسين الفرح، 2010، عروبة البربر تاريخ ودلائل انتقال البربر من اليمن إلى بلاد المغرب والجذور اليمنية العربية لقبائل البربر، وزارة الثقافة اليمنية.
10- محمد الصغير غانم، 1982، التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع لبنان، الطبعة الثانية.
11- محمد الهادي حارش، 1992، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطبع.
12- محمود فهمى حجازى، 1973، علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
13- مختار خليل كبارة، 1998، اللغة النوبية كيف نكتبها، مركز الدراسات النوبية والتوثيق، القاهرة.
14- مصطفى كمال عبد العليم، 1966، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية بنغازي.
15- مصطفى كمال عبد العليم، سيد فرج راشد، 1995، اليهود في العالم القديم، الطبعة الأولى، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت.
16- مصطفى أعشي، 2004، نقائش معاهدة السلام بين الباكوات الأمازيغ والرومان في موريطانيا الطنجية، خلال القرنين الثاني والثالث الملاديين، الرباط.

17- يوهانس فريدريش، 2013، تاريخ الكتابة، ترجمة سليمان أحمد الضاهر، مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب، الطبعة الثانية.

18- CHABOT (G.-B.), 1940, Recueil des inscriptions Libyques, imp. Nationale, Paris.

19- Chaker Salem, 1981, Données sur la langue berbère à travers les textes anciens, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°31, pp. 31-46.

20- FEVRIER (J.G.), 1959, Histoire de l’écriture, Ecriture libyque et Ibérique Paris.